الموقف من الحضارة الغربية *

قاسم بن علي الوزير

يحسن بنا بداية أن نعرّف مصطلحين، ونحدد قضيتين. حتى لا نقع في التباس يتسبب فيه عادة اختلاط المفاهيم واختلاف التّعاريف..أما المصطلحان فهما:

* الحضارة
* الغرب

وأما القضيتان فهما:

* العلاقة بين الحضارات من حيث هي حضارة بصرف النظر عن انتسابها الزمني أو الجغرافي..
* العلاقة بالغرب بمعنى هل هي علاقة به أم بحضارته؟

وحتى لا نتيه في مضطرب التعاريف المختلفة التي يثيرها الاختلاف بين علم الإنسان (Anthropology) وعلم الاجتماع(Sociology) حول موضوع الحضارة؛ فإننا نتجاوز مفهوم علم الإنسان لعدم علاقته بالمفهوم المراد هنا للحضارة الذي يتصل اتصالا وثيقا بعلم الاجتماع..

ولأن موضوعنا الليلة ليس هو الحضارة ذاتها، وإنما هو الموقف منها؛ فإننا نتجنّب الدخول في تفاصيل الاختلاف حول هذا المفهوم بين علماء الاجتماع أنفسهم.. ونختار تعريفا جامعا لعالم اجتماعي فذ هو "مالك بن نبي" .. يقول :" إنها مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه، فالمدرسة والمعمل، والمستشفى، ونظام شبكة المواصلات والأمن في جميع صوره عبر سائر تراب القطر واحترام شخصية الفرد تمثل جميعها أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه"[1]

يترتب على هذا أن جوهر الحضارة هو معطى مضمر في ذاتية أي مجتمع تحمل إرادته معطياتها الأصلية وفقا لاطراد تاريخي متواصل يتضمن" جميع الظروف التاريخية التي تخلقت فيها بذور كل الأفكار، وكل ضروب الخلق والإنشاء وكل إنتاجات الحضارة"[2]

أما من الناحية المادية البحتة فإن الحضارة هي "التي تصنع منتجاتها.."[3] وليس العكس.

ذلك عن الحضارة. فماذا عن الغرب ؟

لقد استخدم مصطلح الشرق والغرب استخداما مختلفا متعدد الأغراض تبعا لتفاوت الأزمنة ودواعي الحاجات وحتى لا نوغل كثيراً في التاريخ لتقصي المصطلح فيمكن البدء من العصر الحديث. وعلى هذا يمكن القول:

أن مصطلح الشرق والغرب قد بلغ الأوج مع المرحلة الاستعمارية التي شهدت كذلك التفسير العرقي للحضارة وللسيادة معاً. وبمقتضى ذلك أصبح الشرق يعني المنطقة المُستعمرَة والمتخلفة. بينما يعني الغرب المنطقة المُستعمِرةُ والمتقدّمة.

---

* محاضرة ألقيت في مركز الحوار في واشنطن .ودارت حولها ندوة المركز عن الموقف من الحضارة الغربية.

[1] القضايا الكبرى ص43

[2] نفس المصدر ص44

[3] نفس المصدر

ثم إنّه مع قيام الاتحاد السوفيتي وحتى انهياره أصبح الغرب يطلق على غرب أوربا وأمريكا بينما يطلق الشرق على شرق أوربا والاتحاد السوفيتي . بما يضمّه من شعوب أسيوية . وكان هذا تقسيما سياسيا لا علاقة له بالجغرافيا ولا بالحضارة فليست الماركسية إلا فكرة أو فلسفة خرجت من رحم الحضارة والفكر الأوربيين ذاتهما.

واليوم..

نرى أنّ مصطلح الشمال والجنوب يحتل شيئا فشيئا مكان مصطلح الشرق والغرب للدلالة ذاتها على عالم متقدم وآخر متخلف.

فعن أي غرب نتحدث؟

إن أوربا شرق بالنسبة لأمريكا، واليابان غرب بالنسبة لأمريكا ولكنها شرق بالنسبة لأوربا. والعالم الإسلامي شرق هنا وغرب هناك. وما دامت الأرض كروية فإن الغرب والشرق جغرافيا هما أمر نسبي تبعا لمطلع الشمس ومغربها كما استخدمه القرآن الكريم في قصة "ذي القرنين". وإنه لأمر جدير بالتأمل والاعتبار أن يصف الله سبحانه نفسه في قرآنه " برب المشارق والمغارب"[4].

فهناك إذا، في الواقع، أكثر من شرق وأكثر من غرب.

فما هو المقصود بالحضارة الغربية؟

لا يمكن أن نعثر على إجابة صحيحة إذا حصرنا البحث في مكان جغرافي منعزل أياً كانت تسميته، أو جنس معين أياً كانت دعواه. وإنما تصدق الإجابة حين نبحث عنها، إما في " المجال الحيوي" مع " توينبي" أو ما يسميه "حقل الدراسة" أو مع "ابن نبي" على مستوى حضارة ضمن نظريته في " النشاط المشترك" المولد للحضارة في إطار مفهوم الدورة التاريخية لها عنده، أو في منطقة " فكر" كما عند "ماسيس" Massis الذي نختار هنا تعريفه للغرب إذ يقول:" إنّ الغرب فكرة تعني شيئا نشير إليه ..لأن الغرب منطقة للفكر الإنساني أكثر من أي جزء من العالم إذ الذي يميزه بشكل رئيسي هو الصبغة المسيحية"[5].

وبناءاً على تلك المستويات الثلاث نجد أن الغرب فكرة أو على الأصح منطقة فكر يتحدد على مستواه مداه الثقافي (الذي يحدد حقل دراسته) يميزه بشكل رئيسي الصبغة المسيحية. ويتضمن " جميع الظروف التاريخية " بشروطها الأخلاقية والمادية والنفسية وفق اطّراد تاريخي لإنتاج وإدارة دورة حضارية.. هي ما نطلق عليه الحضارة الغربية.

الغرب إذا - كما يقول الفيلسوف المرموق "رجا جارودي"- " ليس تعريفا جغرافيا ولكنه تلك المجموعة من القيم والقوى والثقافات والماديات التي تميزه كحضارة متقدمة في وقتنا الراهن"[6].

وعلى هذا، فإنه إذا ما توفرت هذه الشروط والظروف في مجتمع ما وبلغت ذروتها فإننا نشهد ميلا حضارة. لكن علينا أن ندرك أنّ هذا الميلاد ليس انبثاقا من العدم .. وإنما هو سلالة من رحم حضارة سابقة أدركتها الشيخوخة فأسلمت ميراثها- ويمكن القول بعض جيناتها أيضا - إلى حضارة جديدة عبر اطراد تاريخي يتضمن جملة الشروط والظروف في مجتمع معين هو بحكم ذلك - على وجه الدّقة - حاضنة هذه الحضارة الوليدة التي تنتسب إليه..

---

[4] سورة المعارج آية 40

[5] القضايا الكبرى ص 29 الحاشية

[6] أحمد بهاء الدين - شرعية السلطة في العالم العربي - ص 159 ، نقلا عن حوار الحضارات لجارودي

إن الحضارات ليست دوائر مغلقة ولا كل حضارة جزيرة مستقلة بذاتها عن الحضارات الأخرى السابقة أو اللاحقة. إن الحضارة تفاعل مستمر وتواصل متداخل " تأثرا وتأثيرا" وامتداد من سابق للاحق على أكثر من وجه.

وليست الحضارة الغربية بدعا بين الحضارات، بل هي واحدة من هذه السلالة التاريخية التي أبدعها الإنسان. أعني الحضارة. وحلقة من سياقها العام. ضمن ذات القانون الذي يحكم نشوء الحضارات وأفولها..

"فلو نظرنا نظرة صحيحة فاحصة إلى كل ما لدى الغرب اليوم وما يشعه على العالم من أفكار ومبادئ ونظم وفنون وماديات فسنجد له جذورا في حضارات أخرى"[7].

وإذا ما هي طبيعة العلاقات بين الحضارات؟ وما الذي يميز واحدة عن الأخرى؟ .

إن التاريخ يعرض أمامنا على نحو مدهش قصّة الرحلة المجيدة. والطويلة للحضارة في سيرها المتواصل عبر الآفاق والأمم، والبلدان والحقب المختلفة. وإنها لرحلة ممتعة- مع ديورنت - في مؤلفه الضخم عن قصة الحضارة من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى آخر حيث نرى ليس التواصل فحسب بل الجوهر أو الروح الواحد للحضارة المتنوعة. ولكن "تونبي" في تاريخه الرائع العميق للعالم يضيف إلى ذلك استكشاف القوانين والعوامل التي تحدد النشوء والأفول ومن ثم التحول والانتقال للحضارة. وقبل ذلك كله قدّم لنا "ابن خلدون" على نحو غير مسبوق أول تفسير يعتد به للتاريخ ولنشوء الحضارة التي سماها العمران وسقوطها كاشفا لأول مرة فكرة الدّورة الحضارية، التي تبنّاها بعد ذلك " تونبي" وبلغت غاية وضوحها على يد " مالك بن نبي". على أننا قد نجد الأساس لذلك في قول الله عز وجل:" وتلك الأيام نداولها بين الناس"[8].

إنّ جوهر الحضارة واحد من حيث هي تفاعل الإنسان مع الزّمن ومع الطّبيعة من حوله في هدى فكرة - عقيدة- تفجّر طاقاته.. ولكن منتجاتها - أي الحضارة- متطورة ووسائلها مختلفة تبعا لحاجات المجتمع المتحضر وتطور معرفته. وفلسفاتها وعاداتها مختلفة بمقتضى اختلاف البيئات والزمان والمكان وما يضطرب بينهما.

إنّ الاختلاف لا ينجم بين الحضارات من حيث وجود قيم تولد البواعث وعلم يوفر الوسائل، وإنتاج يلبي الحاجات. ولكنه ينجم عن طبيعة القيم وجوهر الفلسفة التي تحكم العلم، وتحدد الغايات وتطبع الثقافة بطابعها ..التي تمنحها ما يطلق عليه الخصوصية من حيث الثقافة معتقدات وعادات وسلوك ..إلخ.. ذلك لأن لكل حضارة ثقافة هي التي تمنح هذه الحضارة بيئتها أو وسطها التي تترعرع في كنفها وتخضعها في قليل أو كثير لعادة تلك البيئة أو الوسط من جهة. ولكل ثقافة.. ومن ثم لكل حضارة فلسفة هي التي تحدد وجهتها من جهة أخرى.

ولكي نصل إلى تحديد للموقف من الحضارة الراهنة لا بد أن نفهمها أولا، وأن نفهم فلسفتها على نحو أخص. ذلك لأن الموقف منها قد كان في الأعم الأغلب صادرا عن جهل بها فإنّ كثيرا من ناقديها - بيننا- لا يصدرون عن فهم لها. وإنما عن عقدة تجاهها وبذلك يهربون إلى نفيها ثم إلى رفضها جملة. أو يطرحون عقولهم جانبا ويلوذون "بالتقليد" الذي لا يصدر هو الأخر عن فهم ولكن عن عقدة أخرى.

إن الموقف الأول ينطلق من " عقدة خوف" من هذه الحضارة. تودي إلى رفضها. والموقف الثاني ينطلق من "عقدة نقص" إزائها تفضي إلى تقليدها. ومن سيئات التقليد أنه يمسخ ذويه. ومن شأن الرّفض أنه يعزل أصحابه عن مجرى التاريخ.. ولا يمكن أن تكون لا العقدة ولا الجهل مدخلا لفهم حضارة ما.. فضلا عن دخول عالمها.

---

[7] نفس المصدر

[8] سورة آل عمران آية 140

إن الطريق إلى هذا الموقف هو المعرفة. والمعرفة لا تعني الظواهر، ولا تقف عندها. إنها تعني معرفة الأسس والأصول التي أفرزت الظواهر وأبدعت النتائج والمنتجات.

إن الظواهر، في المنهج العلمي؛ هي طريق الاستدلال إلى القوانين التي تحكم الظواهر الكونية، أما على الصعيد الاجتماعي فالظواهر هي إما إفرازات للأصول المعرفية والفلسفة الاجتماعية أو انحراف عنها. ولا يتسع الوقت ولا المجال هنا لتناول هذا الموضوع بالتفصيل..

إنّ ما يهمنا الآن.. هو استخلاص النتائج من كل ما سبق به القول. إذ نرى الحضارة صيرورة متواصلة. ذات دورة طبيعية كغيرها من الظواهر الطبيعية إذا غربت من أفق أشرقت من أفق آخر.

إنّ الإنسان يبدع الحضارة. ولكن الحضارة هي التي تكيف حياة الإنسان والمجتمع. وفلسفة كل حضارة هي التي تعطيها وجهتها أو رسالتها في التاريخ وثقافتها هي التي تمنحها وسطها التي تنشأ فيه وطابعها التي تتميز به.

نعيد هذا القول لنخلص إلى أنّ الحضارة هي إرث إنساني مشترك تقوم العلاقة بين دوراتها المختلفة على أساس التكامل حيث ترث كل حضارة جديدة عوامل البقاء من سابقتها وتضيف إليها من إبداعها..ثم تسلمها إلى أخرى..وهكذا..

وإذا فإن الموقف من الحضارة الغربية، ينطلق من هذه النظرة. موقف المشاركة الإيجابية في إنجازاتها العامة. وموقف الاستفادة والإفادة ثم موقف التقييم والتقويم الذي يعالج أمراضها ويصحح انحرافاتها، ويرد إليها الجانب المفقود لإنقاذها إن استطاع. وذلك - على أي حال - شرط تأهيل للدورة القادمة.. التي يتطلع إليها عالم انقسم - كما تنبأ تونبي - إلى بروليتاريا عالمية جائعة، ومسحوقة ومحرومة. هي الأكثرية في العالم الثالث أو ما يطلق عليه اليوم الجنوب. وأرستقراطية شديدة الغرور بقوتها.. وهيمنتها، شديدة الاستهلاك لموارد الحياة على الأرض.. هي الأقلية فيما يطلق اليوم عليه الشمال.

إنّ مصدر الخطر والخلل الأكبر في هذه الحضارة يكمن فيما انتهت إليه فلسفتها عبر تطورات الفكر الأوربي الخاصة به.

إنّ الثورة البرجوازية الصناعية قد خلقت الحاجة إلى مصادر أولية وإلى أسواق ولذلك نشأت ظاهرة الاستعمار الذي اعتبرته الماركسية أعلى مراحل الرأسمالية. وصاحب هذه الظاهرة المشؤومة من أجل تبريرها التفسير العرقي للتفوق بحيث أصبح الأوربي، عرقا متفوقا(بيولوجيا) يحق له بموجب تفوقه هذا أن يستعمر وأن يستعبد من يعتبره عنصرا أدنى لدرجة يصبح معها - بحسب تعبير رينان -: " الاستعمار ضرورة سياسية في الدرجة الأولى.." إنّ غزو بلد من عرق أدنى - كما يقول - من قبل بلد من عرق أعلى لا يدعو إلى الاستنكار" ليس ذلك فحسب بل" إن تجديد الأعراق المنحطة - كما يقول - بأعراق عليا غاية الهبة الإنسانية"[9].

وبذلك.. وبمثله ألغيت القيم الأخلاقية المسيحية من الأساس قبل كل شئ آخر. وهي القيم التي منحت الحضارة الغربية دوافعها ومبرراتها وأعطتها - كما قال "ماسيس" صبغتها.

وعلى هذا فلم يكن، في الواقع، ولا ينبغي أن يكون الموقف ضد الغرب، ولا ضد ما نسميه الحضارة الغربية وإنما ضد الاستعمار وفلسفته المنحلة ومبرراته اللاأخلاقية جميعا.

وتصفية الاستعمار لا تعني تصفية وجوده العسكري، ومؤسساته فقط، ولكن بشكل أهم تصفية ثقافته، وفلسفته، ومنطقه، ليس في البلدان التي نكبت به فحسب، وإنما في عقر داره أيضا وبشكل أهم ..فإن تصفية الاستعمار تعني:

تصفية الفكر الاستعماري (الاستغلالي العدواني) لدى المستعمِر.

---

[9] نفس المصدر السابق

تصفية الشعور الانهزامي (الدّوني الاستسلامي) والانتقامي معا لدى المُستعمَر.

ولكل من الأمرين شروطه وأسلوبه بحيث ينشأ عالم جديد.

وفي الحق أنه منذ بداية النهضة التي عبر عنها جمال الدين وتلامذته قد قبلوا الحضارة ورفضوا الاستعمار. لم يرفضوا الغرب ولكن رفضوا هيمنته. لم يرفضوا العلاقة السوية والمتكافئة على الأخوة الإنسانية، ولكن رفضوا فلسفة العلاقة القائمة على الأساس العنصري والذرائعية والاستغلال، التي تلغي الأخلاق وتحل محلها المصالح..

ذلك هو جوهر الموقف الذي عبر عنه جمال الدين ومحمد عبده ومدرستهما المستنيرة!

نعم!

ولا يجب اليوم أيضا أن يكون الموقف ضد الغرب. ولا ضد الحضارة. وإنما ضد الهيمنة التي حلت محل الاستعمار بنفس الدوافع ولنفس الأهداف، وبوسائل جديدة.

من ناحية أخرى فإن فلسفة هذه الحضارة فيما انتهت إليه عبر تطورات الفكر الأوربي الخاصة به فلسفة مادية تقوم على إلغاء دور الدين من الواقع وفيه ومن ثم اعتبار الأخلاق وهذا هو النتيجة المهمة - موضوعا قابلا للتطور أو ناتجا عنه - بمعنى أن التطور ينتج أو يشكل القيم الأخلاقية للمجتمع وبذلك تنحى كليا " الأساس الثابت" للقيم الأخلاقية وقد ترتب على هذا أن أصبحت غاية المجتمع في العالم وغاية الفرد في المجتمع إنما هي المصلحة أو المتعة أو كما يسميها المفكر الراحل "محمد أسد" الرفاهية comfort . وأصبح الجوهر إذا هو موقف ضد الدين. ومن هنا كانت الماركسية تعبيرا عن أزمة هذه الحضارة حيث أن الأساس لكل من الرأسمالية والماركسية هو الأساس المادي نفسه ففي حين تعبر الرأسمالية، كما يقول "مالك بن نبي" عن مادية البرجوازية فإن الشيوعية تعبر عن مادية البروليتاريا. وقد تميزت الأولى بترك الدين قضية شخصية مكفولة في هذه الحدود أي ضمن الحرّيات الخاصة المرتبطة بجوهر النظام الرأسمالي نفسه دون أن يكون لها دخل في الحياة بأنشطتها وقوانينها وأنظمتها المختلفة. في حين تميزت الثانية بنفي تلك القضية من المجالين الشخصي والاجتماعي وإعلان الحرب عليها. وتحريمها على الفرد في نطاق حرياته الخاصة ومعتقداته وعلى المجتمع في مجال علاقاته وأفكاره ومجال نشاطاته. ولكن الموقف يبقى واحدا وهو الأساس المادي البحت الذي أدى كما أسلفنا إلى أن تصبح غاية الوجود هي الحصول على أكبر قدر من المتعة أو الرفاهية ووسائلها.. وأصبحت المصلحة من ثم هي المقاس والمعيار الذي تقوم على أساسه القوانين وترسم السياسة، ويتحرك في إطاره نشاط الفرد وتتم دورة المجتمع. وهكذا تتشكل القيم الأخلاقية فيه حيث يصبح ما هو غير أخلاقي ...أخلاقيا لمجتمع يفقد توازنه على نحو مطرد..

أما الهدف فهو من جانب آخر القوة من أجل القوة بحسب تعبير "أسد" لذلك أصبحنا نواجه ما أسماه الفيلسوف "جارودي" "الاتجاه الكمي"في الحضارة التي يقودها اليوم" الإنسان ذو البعد الواحد" حسب تعبيره حيث يهدد هذا الاتجاه ليس الحضارة الغربية بل مصير العالم كله.. لقد انسحبت هذه الفلسفة بكل أسف على العلم؛ فأصبح يخدم هذه الغايات نفسها: المصلحة والمتعة والتراكم الكمي من جهة ومن أخرى القوة من أجل القوة علوا في الأرض واستكبارا بما يولد ذلك من قيم سلبية مدمرة حيث أدى عمليا إلى تكديس وسائل الدمار بصورة غير معقولة يكفي للدلالة على عبثيتها كما لاحظ "جارودي" أن تملك أمريكا منها ما يكفي لتدمير العالم عشرات المرات. وأن تملك أو كانت روسيا تملك كذلك ما يكفي لتدميره مرات أكثر عددا مع أن العالم لا يمكن أن يدمر إلا مرة واحدة كذلك أفضت هذه التراكمية إلى تلويث البيئة دون ضرورة، واستنفاد الموارد الطبيعية لغير ما حاجة، وإفساد عناصر الحياة في البر والبحر والجو على نحو

كأنما يرسمه قوله تعالى" ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس"[10] . في تصوير معجز ومذهل لحقيقة هذا الحال وأسبابه.[11]

هذا الخلل كما يشخصه كبار مفكري هذه الحضارة نفسها هو الذي يجب أن يكون الموقف منه موقف الناقد والمقوّم. وليس من الحضارة نفسها التي تزخر بالعديد من الإيجابيات على كل صعيد.

إن فلسفة المصلحة والمتعة قد أدت إلى سياسة تهدد العالم إذ أصبحت مصلحة القوي تتيح له إهدار حقوق الأضعف دون رحمة وأباحت متعة القوي وفائدته استلاب ونهب حتى قوت الأضعف ورزقه، وأصبحت قيم العدل والحق، والخير ملغية في الواقع كل ما تعارضت مع مصلحة الأقوى ومتعته. لقد أصبح العالم نتيجة لهذا يتحول إلى غابة.

ينبغي إذاً أن يكون الموقف ضد هذه الفلسفة اللاإنسانية مع إعادة "القيم" الأخلاقية إلى موقعها الطبيعي من الحياة ومن الحضارة انسجاما مع تيار إنساني بدأ يشق طريقه بصعوبة ولكن بثبات.

ومن جهة أخرى ضد الاستعمار وقد ذهب شكله وبقيت مفاهيمه، وضد الهيمنة التي حلت محله بوسائلها المتقدمة، ومفاهيمها المتخلفة.. وفي طليعتها مبدأ الحق للقوة وأولوية المصلحة الضيقة على الإنسان.

أخيرا: إن دواعي الموقف الإيجابي من الحضارة الغربية هي من القوة بحيث لا يعادلها إلا الموقف السلبي من أمراضها.

إن الموقف المطلوب هو موف أخلاقي بالدرجة الأولى يعيد التوازن المفقود إلى عالم تسوقه الرياح الحمقى نحو الهاوية.

ولكي يتأتى القيام بذلك الدور فلا بد من أن نتأهل له. وذلك يقتضي:

أولا- اتجاه نحو الذات، تتم به وخلاله:

1- تصفية الرواسب الثقافية والتاريخية والأخلاقية التي ورثناها من عصور الانحطاط والتي كانت - أصلا - السبب في خروجنا من نطاق "الحضارة" وتنكبنا لطريقها اللاحب، ومن ثم انحدارنا لعالم التخلف، الذي أفرز الانحطاط، والقابلية للاستعمار..

2- إعادة الصلة الحية المستنيرة والفاعلة بجوهر وأصول ثقافتنا وقيمنا وعقيدتنا بإعادة اكتشاف أفكارنا ..التي فجرت فعاليتنا ومكنتنا من استلام مقود الحضارة الإنسانية وإثرائها..أي بناء الذات. على الأسس التي تكونت أصلا منها وقامت واستمرت عليها، أو بحسب شعار جمال الدين كما صاغه د.عمارة "تجديد دنيانا بتجديد ديننا" ومن ثم التخلص من القابلية للاستعمار والتبعية.

ثانيا- اتجاه نحو الخارج يتم به ومن خلاله التعامل - أخذا وعطاءا - مع الآخر "الحضارة القائمة" باعتبارها تراثا إنسانيا مشتركا، إسهامنا فيه ضخم جدا فلسنا نحن غرباء عنه ولا ضيوفا طارئين على مائدته. ومن ثم التعامل الذي يحقق استعدادنا لأداء دورنا من جديد دون عقدة تقودنا إلى رفض يعبر عن الحماقة أو تقليد يعبر عن الجهالة.

نحن جزء من هذا العالم، وقد كان لنا دور غير منكور بل "الدور" في صياغته قبل أن تدركنا سنة العوامل التي تخرج الأمم من حلبة التاريخ والحضارة معا. وأمامنا دور منتظر تحتاجه الإنسانية وتتطلع إليه الحضارة ويرشحنا له ذلك الميراث .. وإذا كان التقدم العلمي الهائل للحضارة قد جعل من هذه الكرة

---

[10] سورة الروم آية 41

[11] من مقال للكاتب : الطالب المغترب

التي نعيش عليها مدينة واحدة يعيث فيها فسادا شره اقتصاد منفلت من كل ضابط. فإن التخلف الأخلاقي، والقانوني والذي يعيد ويطور إنتاج التمايز العنصري، والاجتماعي على مستوى العالم، والانحلال الخلقي ..هو الذي يعيق الإنسانية من ولوج آفاق العالمية القائمة على الأخوة الإنسانية، ويهدد الحضارة هذه والعالم معها بالزوال..

إن إعادة المبادئ الأخلاقية إلى مكانها من ضبط السلوك الجامح لطغيان القوة، والانفلات المزري لسلطان الشهوة، والاستسلام المطلق لغول المصلحة المجردة بما تمثله جميعها من تمزيق مروع لشبكة العلاقات الإنسانية هو الدور المطلوب والمنتظر..

إن التاريخ على مفترق طريقين:

إما عولمة تقوم على حق القوة وتستهدف السيطرة على العالم على نفس الأسس المتخلفة من الاستغلال الاقتصادي والاستعلاء العنصري، والهيمنة السياسية ..وهو اتجاه سيقود العالم إلى الفوضى، ويدمر منجزات هذه الحضارة نفسها، ويؤذن بانهيارها وغروب شمسها لتشرق من أفق آخر..

وإما عالمية: توفرت لها كل الأسباب والوسائل. إلا إرادة، الأقوياء، تقوم على مبدأ القوة للحق، والكرامة للإنسان، من حيث هو إنسان، والمساواة بين الشعوب في الحياة الكريمة والحقوق المتكافئة، والمواخاة بين البشر والعدل في العلاقات المختلفة داخل كل مجتمع .. وبين جميع المجتمعات والاحترام الحقيقي لمختلف الثقافات وتقبل التنوع ضمن وحدة الإنسانية الرائعة..

وهذا ما سيجعل الحضارة حضارةً إنسانية شاملة..حضارة الشرق والغرب، حضارة الجنوب والشمال لأنها ستكون حضارة الإنسان. وهو ما سيكفل لها ديمومتها ويخلصها من أمراضها القاتلة .. وتلك في الواقع هي "وعود" الإسلام للحضارة الإنسانية ..في إشراقها المنتظر..من آفاقها الجديدة..

وبذلك يتحدد "الموقف المطلوب" الذي لا يرفض ولا يقلد. ولكن يتفاعل ويسهم..وينتقد، مؤهلا نفسه لهذا الدور المطلوب بإلحاح.. وبالله سبحانه التوفيق.